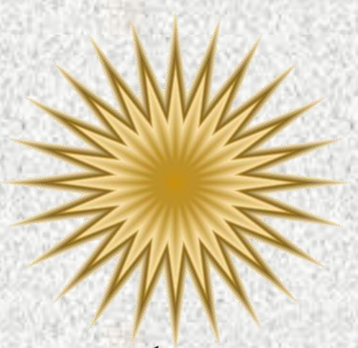


سِلْسِلَةُ الأَعْمَالِ العِلْمِيَّةِ (١٣)

العُلَمَاءُ وَدَوْرُهُمْ

فِي تَحْقِيقِ الوَحْدَةِ وَنَبْذِ الفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ



تأليفُ الدُّكتُور

نَادِرِ بْنِ نمر وَادِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَأَهْلِهِ وَمَشَايِخِهِ وَالمُسْلِمِين





العلماء ودورهم

في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف




العُلَمَاءُ وَدَوْرُهُمْ فِي تَحقِيقِ الوَحْدَةِ وَنَبْـذِ الفُرْقَـةِ وَالاخْـتِلافِ

تـأليف الدكتـور: نـادر بـن نمـر بـن عبـد الـرحمن وادي

غـــــــــــزة – فلســـــــــــطين

الطبعـــــــــة الأولـــــــــــى: ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

 f.nader.n.wady

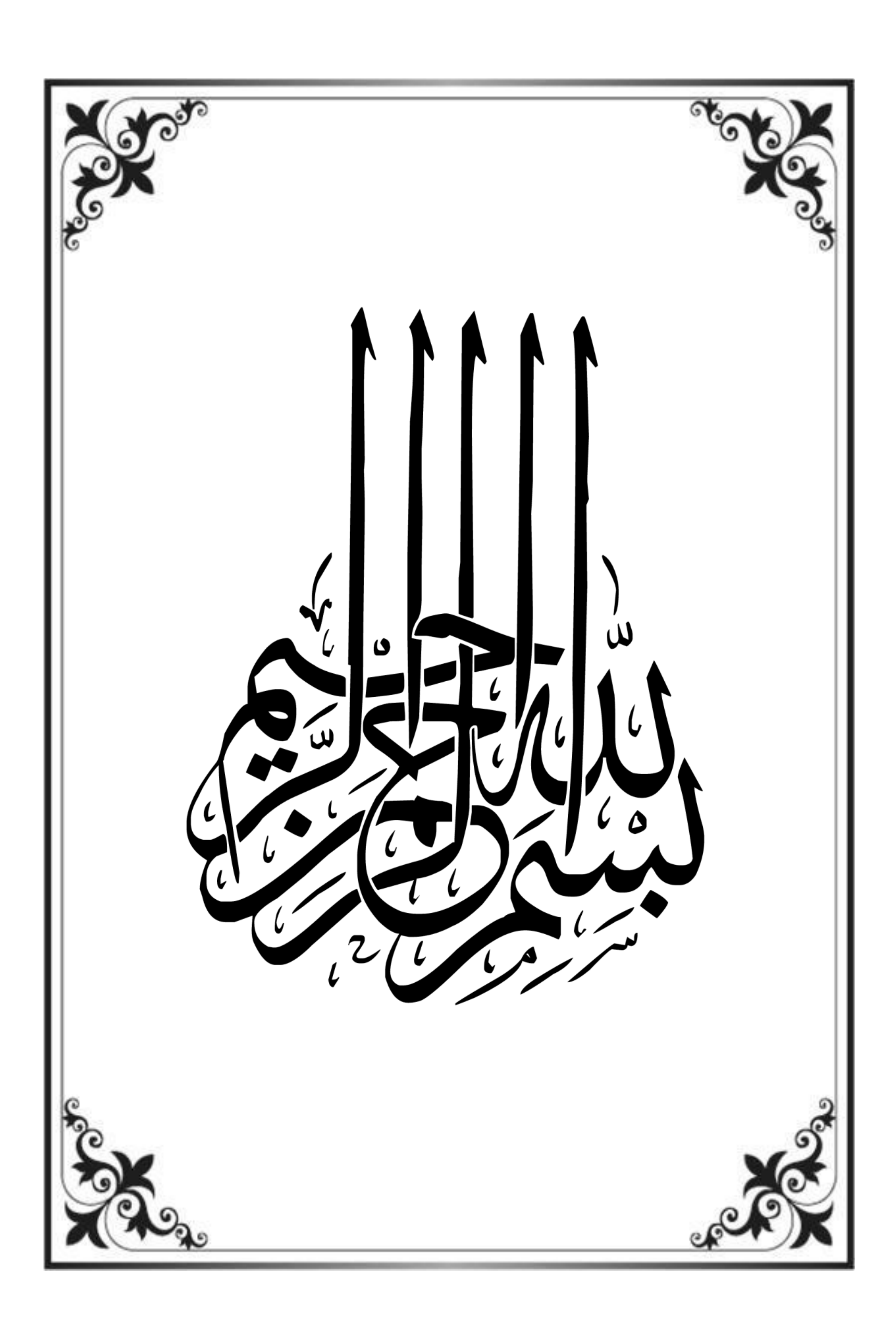
 y.drnaderwadi

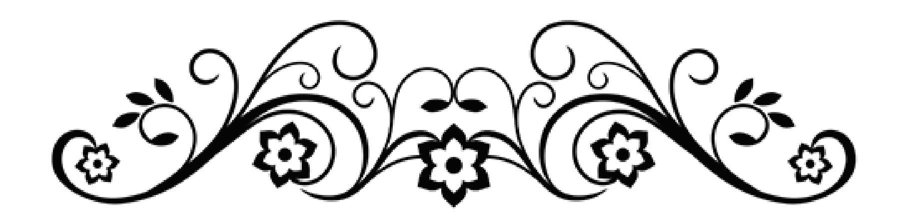
 t.nader_wady

 ٠٠٩٧٠٥٩٩٨٨٠٤٠٨

nader_٢٠٠٧@hotmail.com





بسم الله الرحمن الرحيم



أصل هذا الكتاب

بحث قُدِّمَ لمؤتمر "العلماء .. واقع وآمال"

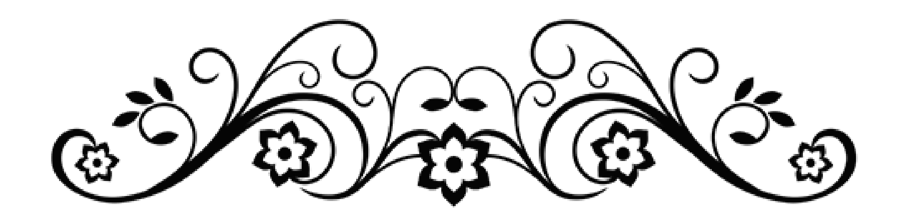
الذي عقدته جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية

في الفترة: ٢٨- ٢٩ شوال/ ١٤٣٢هـ

الموافق: ٢٦/٩/٢٠١١م

غزة – فلسطين

❁ ❁ ❁



ملخص البحث

هذا بحث بعنوان: "العلماء ودورهم في تحقيق الوحدة ونبذ الفُرقة والاختلاف"، وقد قام الباحث بتناول هذا الموضوع من خلال عدة مباحث:

بدأ بعمل مبحث تمهيدي، وتناول فيه أهم التعريفات والاصطلاحات، فعرف الوحدة المقصودة: وتبين أنها تعني وحدة الكلمة تجاه القضايا الأساسية والأهداف المشتركة، وتوحيد الصف أمام الأعداء وإن اختلفت الآراء والاجتهادات، وليس المقصود الوحدة الجغرافية.

وأن المقصود بالاختلاف هو الخلاف السلبي المفضي إلى التنازع والتشاحن والفرقة، وليس اختلاف وجهات النظر واختلاف الاجتهادات فيما فيه متسع للاختلاف فيه.

كما تناول المراد من مصطلح "العالِم" وأنه هو من آتاه الله علم كتابه، وعلم سنة رسوله، ورزقه العمل بهذا العلم، وتحققت فيه صفة الخشية التي خصها الله بالعلماء، وكان من المجتهدين في العلم والعمل وإن لم يكن من المتبحرين في العلم والخائضين لجته.

كما تحدث عن أهمية العلماء ومكانتهم في الإسلام، وحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم في توحيد الأمة، وقد تبين أن توحيد الأمة هي مسؤولية العلماء أولاً.

وكذلك تم الحديث عن أهمية الوحدة وخطورة التفرق والاختلاف، وأن وحدة الكلمة فريضة شرعية وضرورة بشرية، بنص القرآن والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح.

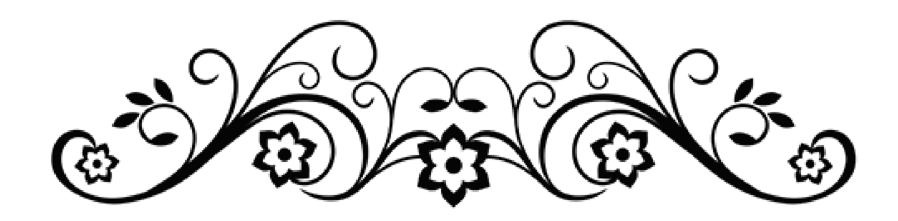
ثم تناول في المبحث الثاني دور العلماء في توحيد الصف ونبذ الفرقة والاختلاف، بادئًا بالصفات التي لا بد أن تتوفر في العلماء حتى يتسنى لهم ذلك، مثل الاعتصام بالله ورسوله ﷺ، والإخلاص لله والتجرد له والخشية منه، والاستقلالية بالدين واعتزال الفتن، ثم تحدث عن الدور المفترض أن يقوم به العلماء لتحقيق هذا الغرض، وتطرق أحيانًا إلى واقع هذا الدور.

وكذلك تحدث عن أهم المعوقات التي تعوق عمل العلماء في سبيل الوصول إلى ذلك.

ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات، وكان منها: ضرورة وضع قواعد وأصول تجمع الأمة وتوحدها، وضرورة تهيئة الأمة نفسيًا وفكريًا لتقبل الوحدة، وتعزيز قيم المحبة والتسامح ونبذ الفرقة، وضرورة التنسيق والتعاون بين العلماء من جهة، وبينهم وبين أولياء الأمور وقادة الأمة من جهة أخرى لتحقيق هذا الهدف، وكذلك ضرورة تطهير المناهج الدراسية وتنقية مراجع المسلمين من

الروايات الواهية التي فرقت الأمة، وضرورة استغلال كل الوسائل والأساليب العصرية المتاحة من وسائل الاتصال والإعلام الحديثة لتحقيق هذا الهدف والوصول إلى الوحدة الإسلامية المنشودة.





Research abstract

This research is under the title of "The Role of Scholars in Achieving Unity and Renunciation of Division and Differences". The researcher dealt with this topic through several studies:

He began with a preparatory study in which he addressed the most important definitions and terminology. He defined the meaning of unity confirming that it means the unity of word towards the basic issues, common goals and joining lines in the face of the enemy despite the differences in opinions and judgments and not the geographic unity. What is meant by difference is the negative difference leading to conflict,

dispute and division and not the difference in views and judgments, where there is a room for difference. He also dealt with the term "scholar" clarifying that he is the man who was provided by Allah with the Scholarship of His Book and the Scholarship of the Sunnah of the Prophet (PBUH), who was gifted with this scholarship, who was characterized by the virtue of fear by which the scholars were singled out by Allah and who was diligent in science and work if he is not already thorough in science.

He also talked about the importance of the scholars and their place in Islam and the responsibility placed on their shoulders towards the unification of the nation. It was found out that the unification of the nation is the responsibility of the scholars in the first place.

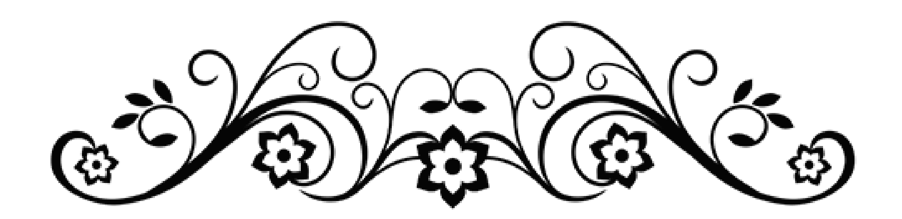
He also talked about the importance of unity and the danger of the split and difference confirming that the unity of word is a legal study and human necessity as shown in the text of the Holy Quran and the prophet's Sunnah observed by the good ancestors.

The second study dealt with the role of scholars in joining the lines, renunciation of division and difference beginning with the virtues which should be available in scholars in order to be able to do so, such as loyalty, impartiality, fear, seeking protection with Allah and his prophet (PBUH), independence and abandoning strife.

He talked about the role supposed to be played by the scholars to achieve this goal. In some cases, he talked about the de facto situation of this role.

He also talked about the most important obstacles facing the scholars on the road to achieve this goal.

He concluded by the most important outcomes and recommendations which included the need to work out the rules and principles for gathering the nation and preparing it psychologically and intellectually to accept the unity, to promote the values of love, tolerance, renunciation of rift among them and the need for coordination, cooperation and team work among them, coordination with parents and leaders of the nation to achieve this goal, clean the scientific and study curriculums, clean the Muslim references from the feeble stories which divided the nation and using all the tools and means available to achieve this goal.



المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّه نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد.

فإنه لما كان العلماء هم قادة الأمة الحقيقيون، وولاة أمرهم المشفقون، وهم بمثابة نجوم السماء للحائرين في الصحاري، والربان لراكبي البحار، وكان لهم الدور الأكبر في نهضة الأمم، وفي سلامتها من الزيغ والزلل والانحطاط، ولما كانت الأمة الإسلامية تمر في مرحلة خطيرة وصعبة؛ بسبب ما تعيشه من اختلاف وتفرق بين أبنائها، كان لا بد من أن يسلط الضوء في هذا البحث على دور العلماء في محاربة هذه الظاهرة الخطيرة؛ لبيان ما دور العلماء وما يفترض أن يقوموا به لتخليص الأمة من هذه الفرقة المشؤومة.

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختياره:

يستمد هذا البحث أهميته من الأهداف التي يسعى للوصول إليها، حيث أنه يتناول مسألة مهمة جدًا؛ وهي مسألة دور العلماء بما لهم من مكانة وتأثير

في الأمة في تحقيق الوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة والاختلاف، الأمر الذي انتشر في الأمة الإسلامية، وشتت شملها.

أما بواعث اختيار الموضوع:

فهو ما تعيشه الأمة الإسلامية من فرقة وتشتت وتشرذم أضعف قوتها وجعلها لقمة سائغة في أيدي أعدائها، وبيان ما على العلماء من دور في علاج هذا الواقع المؤلم.

ثانيًا: أهداف الموضوع:

يمكن إجمال أهداف هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١- بيان مكانة العلماء في الأمة الإسلامية وبيان عظم الدور الملقى علي عاتقهم في إصلاح الأمة عمومًا.

٢- بيان أهمية الوحدة والائتلاف، وخطورة التفرق والاختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية.

٣- معرفة دور العلماء في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية وتخليصها من داء الفرقة والاختلاف.

٤- الوقوف على أهم المعوقات التي تعوق عمل العلماء في سعيهم لتحقيق الواحدة.

ثالثًا: منهج البحث:

١ – اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي في جمع المادة، وعلى المنهج الاستنباطي
في تحليل المعلومات، ثم المنهج الوصفي في عرض المادة.

٢ – بيان درجة الحديث –إذا كان من غير الصحيحين– من خلال أقوال أئمة الحديث إن عُثِرَ عليها.

٤ – التزم بتوثيق الآيات عقب الآية مباشرة، وتوثيق الحديث في متن البحث إلا إن احتاج إلى التفصيل في حكمه فيذكر ذلك في حاشية البحث، وأما توثيق باقي المعلومات والاقتباسات ففي الحاشية.

رابعًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث وخطة الدراسة.

المبحث الأول: مدخل: العلماء ووحدة الصف .. المفهوم والأهمية، وفيه:

المطلب الأول: مفهوم مصطلح "العلماء" ومكانتهم.

المطلب الثاني: وحدة المسلمين .. المفهوم والأهمية.

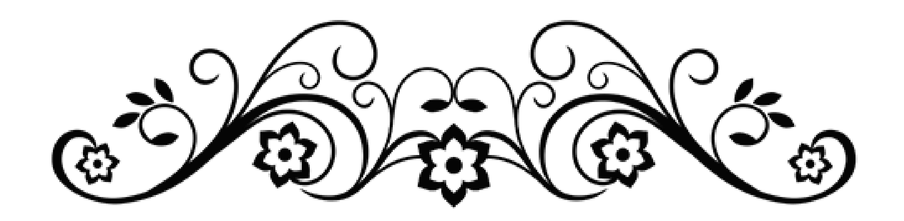
المبحث الثاني: العلماء ودورهم في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف، وفيه:

المطلب الأول: دور العلماء في تحقيق الوحدة.

المطلب الثاني: أهم المعوقات في طريق مساهمة العلماء في تحقيق وحدة الأمة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.





المبحث الأول:

مدخل: العلماء ووحدة الصف .. المفهوم والأهمية

المطلب الأول:

مفهوم مصطلح "العلماء" ومكانتهم

العلماء لغة: من العِلْم، وهو نقيضُ الجهل، وعَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نَفْسُه، ورجل عالِمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ[١].

والعلم اصطلاحًا: هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع؛ إذ هو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص[٢].

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور، ٤/ ٣٠٨٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي، ٥٢٣.

والمراد بالعلماء: هم من آتاهم الله علم كتابه، وعلم سنة رسوله، ورزقهم العمل بهذا العلم، وتحققت فيهم صفة الخشية التي خصهم الله بها في قوله: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر ٢٨] ولو لم يكونوا من المتبحرين في أنواع العلوم والخائضين في لجتها. وهذا المعنى يمكن استخلاصه من فهم السلف الصالح لمصطلح "العالم":

يقول اِبْنُ عَبَّاس ﷺ: "الْعَالِم بِالرَّحْمَن مِنْ عِبَاده؛ مَنْ لَمْ يُشْرِك بالله شَيْئًا، وَأَحَلَّ حَلاله، وَحَرَّمَ حَرَامه، وَحَفِظَ وَصِيَّته، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ مُلاقِيه وَمُحَاسَب بِعَمَلِهِ"(١).

وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ –رحمه الله–: "الْعَالِم مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَ اللَّه فِيهِ، وَزَهِدَ فِيمَا سَخَّطَ اللَّه فِيهِ"(٢).

وَعَنْ اِبْن مَسْعُود ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَيْسَ الْعِلْم عَنْ كَثْرَة الْحَدِيث وَلَكِنَّ الْعِلْم عَنْ كَثْرَة الْخَشْيَة"(٣).

وبذلك يخرج من لم يؤتى هذا العلم، أو تعلمه ولم يعمل به، أو عمل بخلافه، أو لم يورثه هذا العلم الخشية من الله تبارك وتعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ١١/٣٢٠.

(٢) مرجع سابق.

(٣) مرجع سابق.

ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن مَنْ يجتهد فيما يطيق من العلم النافع والعمل الصالح ونفع الأمة بما معه من العلم هو في أشرف المنازل، حتى ولو لم يكنْ من المتبحرين في علوم الشريعة أو الخائضين في لجّتها، ولهذا لما ذُكِرَ معروف الكرخي فِي مَجْلِسِ الإمام أَحْمَدَ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: هُوَ قَصِيرُ الْعِلْمِ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: أَمْسِكْ عَافَاك اللَّهُ، وَهَلْ يُرَادُ مِنْ الْعِلْمِ إلا مَا وَصَلَ إلَيْهِ مَعْرُوفٌ ؟!"[1].



(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٢٥، وانظر: دور العلماء في قيادة الأمة: د. ناصر العمر: http://almoslim.net/node/٩٥٥٨٨

مكانة العلماء

للعلماء في الإسلام مكانة عظيمة، فهم بمثابة الملوك بغير تيجان، وهم النجوم للسائرين في الصحاري، وهم الربان لراكبي البحار، وهم الجهاز المناعي للأمة، فبصلاحهم تصلح الأمة، وبفسادهم تضل وتزيغ الأمة، وقد كان مسروق -رحمه الله- ينشد:

يا معشرَ القراء يا مِلْحَ البلدْ *** ما يُصلِح الملحَ إذا الملحُ فَسَدْ[١]

والعلماء هم أقدر الناس على تحقيق وحدة الأمة، وتخليصها من داء الفرقة والاختلاف، وذلك لأنهم "ورثة الأنبياء"، فهم ورثتهم في العلم والحكمة، وهم حجة الله في أرضه على الخلق، وهم أهل الحل والعقد في الأمة، وهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم؛ كما قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء: ٥٩]. قال مجاهد: هم أولوا العلم والفقه[٢].

وهم المؤتمنون على مصالح الأمة العظمى، على دينها وعلى دنياها، وهم أهل الشورى الذين ترجع إليهم الأمة في جميع شئونها ومصالحها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم والرجوع إليهم، وهم أفضل الناس لأن الله رفعهم

(١) تاريخ الإسلام: الذهبي، ٨/٣٠٦.

(٢) تفسير الطبري: ٨/٥٠٠.

بالعلم، قال تعالى: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [المجادلة: ١١].

وهم شهداء الله الذين أشهدهم الله على توحيده، وقرن شهادتهم بشهادته؛ قال تعالى: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ}** [آل عمران١٨].

وقال النبي ﷺ في شأن العلم والعلماء: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا؛ وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» [سنن أبي داود: ٣/٣٥٤: ٣٦٤٣، عن أبي الدرداء، وصححه الألباني: صحيح الجامع: ٣/٣٨٢: ٦٢٩٧- ٢١١٧].

وقال الآجري في "أخلاق العلماء": اختص الله من سائر المؤمنين من أحب، فتفضل عليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح. ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار

لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة..[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: العلماء تشبه النجوم، فإن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وكذلك العلماء، والنجوم زينة للسماء، فكذلك العلماء زينة للأرض، وهي رجوم للشياطين، وكذلك العلماء رجوم لشياطين الإنس والجن[2].

هذا على وجه العموم، فالعلماء هم أهل هذه الخصال والجديرون بها. ولا يلزم أن تتوفر كل هذه الخصال في كل عالم، فالكمال لا يكون إلا لله - سبحانه وتعالى-[3].

لذا فيمكننا بناءً على ما سبق ذكره أن نقول: وحدة الأمة هي مسؤولية العلماء أولاً.



(١) انظر مقدمة أخلاق العلماء: الآجري، ١٥ و١٦.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ابن القيم، ١/ ٦٨.

(٣) العلماء هم الدعاة: ناصر العقل، ٦.

المطلب الثاني:

وحدة المسلمين .. المفهوم والأهمية

الوحدة لغة: (وحد) الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. من ذلك الوَحْدَة[1].

ويقال رأَيته وحده وجلس وحده أَي منفردا[2]. والوحْدانيِّ المفارِقَ للجماعة المْنْفَرِدَ بنفسه وهو منسوب إِلى الوَحْدةِ والانفرادِ[3]. وحكى سيبويه الوَحْدة في معنى التوَحُّد[4].

فالوحدة تستخدم في اللغة في العديد من المعاني، منها الانفراد، ومنها مفارقة الجماعة، ومنها التوحد، ولا شك أنها إذا أضيفت إلى شيء فهي تعني وحدته وتوحده وانفراده عن غيره، فوحدة المسلمين تجمعهم وتوحدهم عن غيرهم، ووحدة الكلمة هي وحدة الرأي والموقف والاتجاه، وهكذا.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٦/٩١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٦/٤٧٨١.

(٣) مرجع سابق: ٦/٤٧٨٢.

(٤) مرجع سابق: ٦/٤٧٨٠.

أما الوحدة اصطلاحًا: فالوحدة يراد بها وحدة الكلمة تجاه القضايا الأساسية والأهداف المشتركة وتوحيد الصف أمام الأعداء(1).

والمقصود بوحدة المسلمين هو الوحدة بين أبناء الإسلام، وأبناء التوحيد من أهل السنة والجماعة، لا غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى والمذاهب الهدامة والبدع المكفرة، بل إن مخالفة هؤلاء ومفارقتهم أصل في دين الله تعالى، قال تعالى: **{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}** [البقرة١٢٠] وأكد النبي ﷺ على مخالفتهم في مواطن كثيرة حتى قالت اليهود: "مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ" [صحيح مسلم: ١/١٦٩: ٧٢٠].

"فالتوحيد لا يقبل بوحدة غير أهله، فقد أقر بذلك بعض ملحدي عصرنا، حيث فهموا حقيقة التوحيد الذي أمر الله به، وذلك حينما تكلم الرئيس الروسي "بوتين" عن الحرية الدينية في بلادة فقال: نحن نأذن بتعليم ونشر سائر الكتب الدينية لسائر الديانات إلا "التوحيد" لأنه يلغي غيره، ولا يقبل المشاركة.

(١) الوحدة الإسلامية: معالمها وأعلامها- مجلة مجمع الفقه الإسلامي (جدة)- مج ١١، ع ١١. ص٨٧- ١١٩.

وبهذا يتضح أنه لا توافق بيننا وبين الكفار، إلا بصور معينة بينها الشارع، كحرمة قتل المعاهد، وجدالهم بالتي هي أحسن، والبر والقسط مع غير المحاربين منهم ونحو ذلك"[١].

وكذلك الأمر فيما يخص أصحاب البدع والأهواء المكفرة ممن ينتسبون للإسلام كذبًا، فلا مجال للاتحاد والوحدة بين أهل السنة وأهل البدع المكفرة، فلا يمكن –مثلاً– التغاضي عن أصول الإسلام الثابتة بالقرآن والسنة من أجل تجنب الاختلاف وتحقيق الوحدة معهم.

فيقول أبو القاسم الأصفهاني في بيان ذلك: "فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر والصفات، وشرط الإيمان يورث التقاطع والتدابر والاختلاف، فيجب طرحها، والإعراض عنها على ما زعمتم !

الجواب: إنما قلنا هذا في المسائل المحدثة، وأما القول في هذه المسائل من شرط أصل الدين، ولا بد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها، لتفرق الناس في ذلك، كما في أصل الإسلام، والدعاء إلى التوحيد، وإظهار الشهادتين[٢].

---

(١) انظر: توحيد الكلمة على كلمة التوحيد: الطريفي:
http://www.islamway.com/index.php/gaza/hajj/index.php?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=٣٩٨١

(٢) الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم الأصفهاني، ٢/٢٤٤.

ففي هذا تنبيه على أن تحقق الوحدة الإسلامية والجماعة المسلمة لا يكون إلا على التوحيد الخالص لله رب العالمين، والحذر من الإخلال بهذا التوحيد أو الإتيان بما يؤثر فيه أو ينقصه أو يخدشه من شركيات وبدع، لأن ذلك سيؤدي قطعًا إلى الفرقة المذمومة المحذر منها، فلا مجال إذًا للاتحاد والوحدة بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وبين الهدى والضلال.

وإذا علم هذا؛ فإنه كذلك لا يجوز ترك الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك قول كلمة الحق بحجة المحافظة على وحدة الأمة.

إذًا: فالوحدة المقصودة هي: وحدة أبناء الإسلام من أهل السنة والجماعة، بوحدة مشاعرهم وأهدافهم وغاياتهم، برغم ما يفصل بينهم من حدود وفواصل، وبرغم ما قد يكون بينهم من اختلاف في الفهم والاجتهاد –فيما فيه مجال للاجتهاد–.



أهمية الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية

وأما عن أهمية هذه الوحدة: فإنها تعتبر فرضًا من فروض الدين، وأساسًا من أساساته، كيف لا !! وأمة الإسلام هي أمة التوحيد، فالرب واحد، والرسول واحد، والدين واحد، والقبلة واحدة، والشعائر واحدة، قال تعالى: **{إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء٩٢].

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الأصل في البشرية هو الوحدة والاتحاد، وأن ما ظهرت الفرقة والاختلاف إلا مع ظهور الشرك في الناس، فاستلزم ذلك بعثة الأنبياء والرسل: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}** [البقرة: ٢١٣]. أي فيما اختلفوا فيه من الإيمان، فآمن فريق وكفر فريق[1].

وهي فريضة دينية وضرورة دنيوية، دل على ذلك القرآن والسنة النبوية، قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}** [آل عمران: ١٠٣]، وقال: **{وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الأنفال: ٤٦].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: ٩٥.

وقد حذر الله تعالى من التفرق في الدين ورتب عليه عذاب أليم فقال: **{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: ١٠٥].

كما أعلن الله تعالى براءة رسولهم ممن فرقوا دينهم: **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }**[الأنعام: ١٥٩].

وأما من السنة، فقد أكد النبي ﷺ على الأخوة بين المسلمين، حيث يقول: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ**» [صحيح البخاري: ٣/١٢٨: ٢٤٤٢] ويقول ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**» [سنن أبي داود: ٣/٣٤: ٢٧٥٣].

وكذلك أخبر أن هلاك الأمم من قبلنا إنما كان باختلافهم على أنبيائهم، فقال ﷺ «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**» [صحيح البخاري: ٩/٩٤: ٧٢٧٧]. أي بكثرة سؤالهم وكثرة اختلافهم على أنبيائهم.

كما اعتبر النبي ﷺ العداء والاقتتال بين المسلمين قرينًا للكفر يجب أن يتصدَّى له المسلمون بكل حزمٍ، فقد قضى على من يريد تفريق المسلمين بعد اجتماعهم بالتقتيل فقال: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ**

يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ» [صحيح مسلم: ٦/٢٣: ٤٩٠٤].

وقد سار أصحاب النبي ﷺ على نفس الهدى، فحرصوا على الوفاق وعدم الاختلاف، قال عمر ﵁: "لا تختلفوا فإنكم إن اختلفتم كان من بعدكم أشد اختلافًا"(١).

وقال علي ﵁ في خلافته لقضاته: "اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الاخْتِلَافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي" [صحيح البخاري: ٥/١٩: ٣٧٠٧].

ولا شك أن هذا المطلب الشرعي، بل الفريضة الدينية، هو أولى الأولويات، ومقدم على كل ما سواه من الواجبات لأنه يعتبر في مقام الوسائل لغيره من الغايات، ولأنه من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فإن إعلاء كلمة الله، وتحقيق النصر على الأعداء، والدفاع عن حوزة الدين والحرمات، كل ذلك لا يتم إلا بوحدة الأمة واتفاق كلمتها.

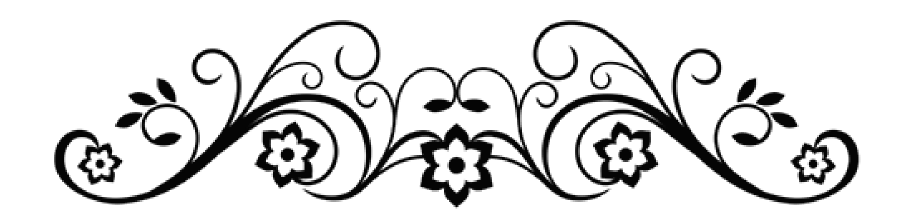
ولذلك فإن الإسلام حرص على سلامة المجتمع المسلم من الفرقة والتشتت، فاستوعب المختلفين في الأعراق والأديان –بوضع ضوابط وأصول لأجل ذلك– أفلا يستوعب المختلفين من أبناء الدين الواحد ؟!.

---

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم، ١/٢٥٩.

ولسنا بصدد التفصيل أكثر من ذلك في الحديث عن ضرورة الوحدة وأهميتها، فذلك أمر مفروغ منه وواضح لدى كل مسلم واع.

۞ ۞ ۞



المبحث الثاني:

العلماء ودورهم في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف

المطلب الأول:

دور العلماء في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف

فإن على العلماء دور كبير وأساسي في توحيد المسلمين، ولا بد قبل أن يذكر هذا الدور، وقبل أن يتقدم العالم ليأخذ موقعه ويمارس دوره في توحيد المسلمين، لا بد أن تتوفر فيه صفات مهمة تمكنه من ذلك، وهذه الصفات هي:

أهم الصفات الوجب توافرها في العالِم

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة وإتباع سبيل المؤمنين

وذلك يعني ضرورة التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وسبيل المؤمنين الصالحين، ووضع مصادر التشريع الأصلية من قرآن وسنة موضعها الصحيح.

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}**[النساء: ٥٩]، وقال تعالى: **{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**[آل عمران ٣١].

فهذا خطاب للأمة جميعًا بأهمية طاعة الله والرسول ﷺ لئلا تضل أو تهلك.

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تتحقق وحدة المسلمين إلا إذا اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى مانًا على رسوله بجمع أصحابه حوله وقد كانوا من قبل أشد الناس عداوة: **{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [الأنفال: ٦٣].

ووضع القرآن في موضعه لا يكون إلا بتقبُّله، والفرح به، وانشراح الصدر له، والعلم بأنه أعظم نعمة من الله على عباده، واليقين بأنه كله من عند الله، ورد

المتشابه فيه إلى المحكم، والتسليم للرسول ﷺ في بيانه، ورد مشكله لأهل العلم، واستنباط أحكامه لأهل الفقه، والإخلاص والنصح له، والإتيان إليه متجردين من كل العقائد والأفكار والتصورات السابقة.

وكذلك وضع سنة النبي ﷺ في موضعها الصحيح، قال تعالى: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: ٦٣].

ولقد كان هذا هو هدي السلف الصالح في تعاملهم مع القرآن والسنة، وهو عدم تقديم شيء عليهما، فهذا الشافعي –رحمه الله- يقول مقدمًا حديث النبي ﷺ على رأيه واجتهاده: "الحديث مذهبي، فإذا صح الحديث فاضربوا بمذهبي عرض الحائط"(١).

وكذلك العمل بما أجمعت عليه الأمة، وإتباع سبيل المؤمنين، والعلم أن من مميزات هذه الأمة أنها معصومة عن الخطأ، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ** ..» [أخرجه الترمذي: ٤/٣٩: ٢١٦٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ١٨٤٨]. وقال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**» [أخرجه الترمذي: ٤/٧٨، ٢٢٢١، وصححه الألباني في الصحيحة: ٦٩٩].

---

(١) تذكرة الحفاظ: الذهبي، ١/٣٦٢.

فلو رجع المتخاصمون إلى ذلك لما بقي بينهم خلاف قط، فلا عجب أن يقرن الله تعالى ذكر الاعتصام بحبله بالنهي عن التفرق: **{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}**[آل عمران١٠٣].

فلا بد إذن من تصحيح المناهج: حيث أن من أكبر أسباب التفرق هو الانحراف عن المنهج الرباني القويم، والهدي النبوي الصحيح، وما كانت البدع في قوم إلا تفرقوا وتباغضوا، ألم يقل تبارك وتعالى: **{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}** [الأنعام: ١٥٣] !!.

إذًا: بمفهوم العكس: إذا لم يعتصموا بحبل الله كان التفرق والتنازع واقعًا لا محالة، حيث أن الافتراق من لوازم البدعة، والفرقة من سمات أصحابها، وفي ذلك يقول قتادة –رحمه الله: "لعمري لو كان أمر الخوارج هُدىً لاجتمع، ولكنّه كان ضلالاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافًا كثيرًا"[(١)].

وقال الشاطبي –رحمه الله–: "والفرقة من أخص أوصاف المبتدعة لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة أهل الإسلام"[(٢)].

وفي الوقت الذي نؤكد فيه على أن البدعة أساس التفرق، فإن مما هو مؤكد؛ بل وبديهي أن تبني أفكار ومناهج غير المسلمين أصلاً، من الشيوعية والماركسية

(١) تفسير الطبري: ١٨٨/٦.

(٢) الاعتصام: الشاطبي، ١٩٨/١.

والعلمانية وغيرها، من أكبر أسباب تنازع الأمة، إذ أن هذه المناهج وهذه النحل لا تؤمن بعقيدة التوحيد أصلاً، ولا تؤمن بأخلاق الإسلام أصلاً؛ بل أنها لا تقر بوحدة البشر وتساويهم، وبالتالي ميزت بينهم وفضلت بعضهم على بعض.

فيقول ماركس منكرًا على مدعي الاخاء بين الناس والدعاء اليه: "لم يكن الناس أخوة في حال من الأحوال، بل أعداء طبقيين يتصارعون"[1].

في حين يقول ﷺ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا. وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً. وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**» [صحيح البخاري: ٨/١٩: ٦٠٦٥].

ومن هنا نجد اختلافًا جوهريًا بين الفلسفتين: فلسفة اليهودي ماركس القائمة على حتمية الصراع الطبقي، وضرورة العداوة فيما بين الناس. وفلسفة الإسلام القائمة على فرضية الإخاء ووجوب تقويته وتوسيع نطاقه وتوثيق عراه[2].



(١) الحل الإسلامي: القرضاوي، ١٥٧.

(٢) انظر: الحل الإسلامي: القرضاوي، ١٥٩.

ثانيًا: الإخلاص والتجرد والخشية

فإن من أهم صفات العلماء الربانيين الذي يُنتظر منهم أن يوحدوا الأمة ويجمعوا شملها هي صفة "الخشية" التي جعلها الله من أخصِّ صفاتهم كما في قوله تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: ٢٨] ولذلك قال الإمام أحمد لما سأله ابنه عن معروف الكرخي: هَلْ كَانَ مَعَ مَعْرُوفٍ شَيْءٌ مِنْ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ: لِي يَا بُنَيَّ كَانَ مَعَهُ رَأْسُ الْعِلْمِ، خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى"[١]. ومن المعروف في الآثار: "كفى بخشية الله علمًا، وبالاغترار به جهلا"[٢].

ومردُّ ذلك أن أهل الخشية من العلماء هم الذين يفعلون ما أداه إليه اجتهادهم وعلمهم، دون مداهنةٍ لأحد أو خوفٍ من أحد، ومن غير أن يتطلعوا لعرضٍ زائلٍ مهما بلغ، فإن مقتضى خشية الله في قلوبهم أن لا يلتفتوا إلى أهوائهم ولا أهواء غيرهم.

ومتى ما كانت مواقف العالم كذلك كانت أقرب إلى الصدق والثبات، وأحرى أن تثق وتطمئن لها النفوس وتجتمع عليها القلوب.

فالاختلاف بين البشر أمر طبيعي، فقد وقع الخلاف بين أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين، بين أصحاب النبي ﷺ، ولكنهم كانوا يتمتعون بقدر كبير من الإخلاص والتجرد والخشية لله تعالى، الأمر الذي كان يحول دون أن يكون

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٣٥-٢٣٦

(٢) تفسير السمعاني: ٤/٣٥٧.

اختلافهم سبب لاختلاف قلوبهم، وإلا لكان أدنى خلاف فقهي مثير للعداوة والشحناء، بل وربما الاقتتال والحروب.

وهذا المعنى قد أشار إليه حديث النبي ﷺ: «... **ثَلاثُ خِصَالٍ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ** ...» [مسند أحمد: ٤٦٧/٣٥: ٢١٥٩٠].

والمعنى: أن هذه الخلال يُستصلح بها القلوب؛ فمن تمسك بها طَهُر قلبه من الدّغل والفساد[1]. وقد جمعت هذه الخصال الثلاث: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة؛ ما يقوم به دين الناس ودنياهم، ومنها تحقيق الألفة والوحدة وعدم التنازع، فإنه قال: «لا يغل عليهن قلب مسلم أبدًا».

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "لم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الوصية"[2].

فمن التجرد: البعد عن التعصب المهلك للقول أو المذهب أو الشيخ، فقد كان هذا من سمات سلفنا الصالح، حتى أن بعضهم كان يتمنى جريان الحق على لسان خصمه، فهذا الإمام الشافعي -رحمه الله- يحلف ويقول: "ما

(١) الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، ٧٢/٣.

(٢) انظر: مسائل الجاهلية: محمد بن عبد الوهاب، ١٣.

ناظرت أحدًا إلا على النصيحة" وقال: "والله ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يخطئ"[1].

ومن التجرد: الاعتراف بالخطأ، وذلك له أثر فاعل في تقريب وجهات النظر، والابتعاد عن التنازع، وإعطاء الآخر شعوراً بالصدق والتجرد وطلب الحق.



(١) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي، ١/٣٦٣.

ثالثًا: استقلال العلماء واعتزالهم الفتن وأهلها

والمقصود باستقلال العلماء: هو الاستقلال بمفهومه العام الذي يرتكز على تجريد النية لله عن كل ما سواه، ومن ذلك الحكومات والشعوب، فلا يقدم العالم على رضى الله –تعالى- رضى أحد كائناً من كان، محباً كان أم مبغضاً، قائداً أم منقاداً، وإنما هو مجتهد في إخلاص قصده لربه وتحقيق مطلوبه وفق ما يشرع، رضي من رضي وسخط من سخط، يتحرى في كل عمل صالح أنفعه وأحبه لربه، وهو مع ذلك ليس بمعزل عن التواصل مع الحكام والمحكومين، والناس أجمعين يدعوهم بدعوة المرسلين ويبتغي لهم رحمة أرحم الراحمين.

وإن من المهم التأكيد على أن بعض المصلحين قد يجب عليه أو يناسبه العمل من خلال مؤسسات شعبية مستقلة عن أجهزة الدولة الرسمية، أو يختار المسلك الآخر بالعمل ضمن مؤسسة رسمية مع محافظته على استقلاله وعدم انجراره ضمن أعمال لا يدين الله بها، وسلوك هذا المسلك أو ذاك إنما هو وفقاً لحال المصلح ومقتضيات المصلحة التي يقدرها[1].

وقد كان سلفنا الصالح يؤكدون على أهمية صلاح العلماء والتزامهم بالمنهج الصحيح، وعدم إنجرارهم خلف الأهواء وأهلها، فكان سفيان الثوري –رحمه

(١) دور العلماء في قيادة الأمة: د. ناصر العمر:

http://almoslim.net/node/٩٥٥٨٨

الله– ينصح العلماء ويقول لهم: "الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء ؟!"[1].

ولذلك فإنه من الضروريات الواجبة لتكون كلمة العالم ودعوته مؤثرة وذات مصداقية لدى الناس، أن يكون هو في نفسه مستقلاً ومتجردًا وغير متحزب إلا لله ورسوله، وإلا كان كمن يقال فيهم: فاقد الشيء لا يعطيه.



(١) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ٦/٣٦١.

دور العلماء في توحيد الأمة

مما يجب على العلماء أن يقوموا به هو الآتي:-

أولاً: تربية الأمة على الوحدة والتعاون والرحمة

فإن من الضروري جدًا أن يربي الناس على الرحمة والتعاون، وقد كان هذا هو هدي النبي ﷺ وأول عمل قام به بمجرد أن وصل إلى المدينة مهاجرًا، فقد آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، مربيًا ومعلمًا لهم على خلق الرحمة والتعاون، فأصبحوا أخوة متحابين بعد أن كانوا أعداءًا متقاتلين.

فآخى بينهم حتى أن أحدهم همَّ أن يقسم نصف ماله ونساءه لأخيه، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قال: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ، .. الحديث بطوله [صحيح البخاري: ٣/٥٢: ٢٠٤٨].

وقد كان ﷺ يستغل المناسبات الجامعة ليحث الناس على التعاون والتناصح واحترام الحقوق فيما بينهم: فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ،**

وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ؟ ..»

[مسند أحمد: ٣٨/٤٧٤، ٢٣٤٨٩، وصححه الأرنؤوط].

ولأجل هذا المعنى: فإنه لا بد للعلماء من إظهار روح الوفاق فيما بينهم أمام العامة، من خلال مناقشة مسائل الخلاف في مجالس خاصة، وبعيدًا عن مسامع وأنظار عامة الناس، وذلك تأليفًا للقلوب، وإبعادًا للعامة عن هذا الميدان، لأنه ليس لعامة الناس مدخل في تفاصيل المسائل الفقهية، فقد تعجز عقولهم وأفهامهم عن إدراك ما يدور بين العلماء، فيكون لبعضهم فتنة.

فقد جاء علي بن أبي طالب ﵁قوله لجمعة المصاحف لما قالوا له: ما الرأي يا أمير المؤمنين ؟ قال: "فإني أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافًا"[(١)].

وفي يوم السقيفة لما تنازعوا فيمن يكون الخليفة، فقام الحباب بن المنذر بن الجموح ﵁ فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ..[(٢)].

(١) ذكره البغوي في شرح السنة ٤/٥٢٤، وعزاه المحقق لابن أبي داود في المصاحف ص: ٢٢ ، ٢٣ ، وقال: "إسناده صحيح"، وصححه الحافظ في الفتح ٩/١٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/٢٤٢.

لذلك فإن لما كان العلماء هم رؤوس الناس، كان الاتفاق في حقهم أولى من غيرهم، وإلا كيف تجتمع الأبدان والرؤوس مختلفة.



ثانيًا: تبصير الناس بأهمية الوحدة وخطورة التفرق والاختلاف

فإنه يتوجب على العلماء، كونهم ورثة الأنبياء وأولياء أمور المسلمين، ودعاتهم إلى كل خير، ومحذروهم من كل شر، عليهم ترغيب الناس في الاتفاق والائتلاف وبيان فضائله، وترهيبهم من التفرق والتنازع وبيان خطورته وشؤمه، الأمر الذي حرص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية كل الحرص.

فالاختلاف والتنازع في الدين فيه الفشل وذهاب الريح، قال تعالى: **{وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}** [الأنفال: ٤٦].

وفيه العذاب الأليم من الله، قال تعالى: **{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: ١٠٥].

وفيه الهلاك، قال ﷺ: «**فَإِنَّمَا أُهْلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ أَوْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ اخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ**» [مسند أحمد: ١٥/٥٤٧: ٩٨٨٧].

والجماعة رحمة والفرقة عذاب: فيصرح النبي ﷺ بذلك فيقول: «**الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ**»(١). ولو أردنا الحصر في فضل الوحدة وخطورة التفرق لطال بنا المقام(٢).

ومما لا بد أن ينبه العلماءُ الناسَ إليه، أن التفريق بين المسلمين هدف استعماري قديم، فقد حرص عليه أعداء الإسلام منذ القدم، فقد جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني "أو مسبي غو" لرئيس حكومته سنة ١٩٣٨م: "أن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه"(٣).

فكان من أعظم أهداف الاستعمار ألا تجتمع الأمة الإسلامية على منهج واحد تعتصم به ولا تنصرف عنه، وخاصة إذا كان هذا المنهج هو الإسلام(٤).

فهذا مما يجب على العلماء بيانه للناس حتى يكونوا على بينة من أمرهم.



(١) مسند أحمد: ٤/٢٧٨، ١٨٤٧٢، وضعف إسناده الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٥٩٧، ٣١٠٩، وصحيح الترغيب والترهيب: ١/٢٣٦: ٩٧٦.

(٢) للمزيد في هذا المعنى: راجع المطلب الأول: وحدة المسلمين .. المفهوم والأهمية.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/٦٩٤.

(٤) انظر: الحل الإسلامي: القرضاوي، ١٦٤- ١٥٧.

ثالثًا: نشر العلم الشرعي بين الناس وبخاصة فقه الخلاف وفقه الواقع

فإن الجهل من أكبر أسباب التنازع والفرقة: يقول الشاطبي –رحمه الله-: "فالجهل من أسباب التفرق، وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت"[(١)].

فلا بد إذًا من نشر العلم الشرعي، وتفقيه الناس بدينهم، لرفع الجهل الذي يؤدي إلى التفرق والتنازع.

ومن أنواع العلم الضروري التي يتوجب على العلماء بثه بين الناس في حال تفرق المسلمين هو فقه الخلاف، فقد تحدث أهل العلم كثيرًا عن هذا النوع من العلم، حرصًا منهم على سلامة الأمة من الاختلاف والتنازع، فقد وضعوا أصولاً وقواعد يمكن من خلالها تجنب أي فرقه قد تنتج عن اختلاف الرأي والاجتهاد.

فهذا ابن تيمية –رحمه الله- قد أصَّل لفقه الاختلاف، فقال: "الاختلاف نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد:

فاختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي أختلف فيها الصحابة، حتى

---

(١) انظر: الاعتصام: الشاطبي، ٣/١٤٥.

زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ، وقال: «**كلاكما محسن**» [صحيح البخاري: ٣/١٢٠: ٢٤١٠]. ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع - عند الجمهور الذين يقولون: "المصيب واحد" وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب" فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد، لأن القولين يتنافيان[(١)].

فهذا تأصيل منه –رحمه الله– لهذا النوع المهم والضروري من الفقه، وليس المقام مقام تفصيل أكثر من ذلك.

وأما عن أهمية فقه الواقع، فهو أيضًا نوع مهم جدًا من أنواع العلم، التي تجنب الأمة الاختلاف والتنازع، قال شيخ الإسلام ضاربًا مثلاً عن أهمية فقه الواقع في حل اختلاف الناس في أمور الجهاد: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، فأما أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا"[(٢)].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، ٣٨.

(٢) الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، ٥/٥٣٧.

فبمثل هذا الفقه يمكن أن نتجنب كثير من الخلافات بين المسلمين.

كما أنه لا بد للعلماء أن يُفَعِّلوا تلك القواعد التي وضعها أسلافهم السابقين، والتي من شأنها أن توحد الأمة، وتوجد الألفة والتعاون فيما بينها، وتجنب المسلمين الفرقة والاختلاف، وذلك مثل قاعدة: (لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه)، وقاعدة (الخروج عن الخلاف مستحب)، وقاعدة: (المفضول قد يصير فاضلاً لمصلحة راجحة)، وقاعدة: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).

فهذه القواعد –وإن كان لبعض العلماء تفصيلات واستثناءات عليها– لو تنبه الدعاة وأبناء الدعوة الإسلامية إليها، وعملوا بها في حياتهم الدعوية، لتقاربت القلوب، وتوحدت الصفوف[(١)].

وحتى لا تختلط الأمور، فإنه لا يعني الحرص على الوحدة والوفاق التساهل والتهاون في دين الله، أو السكوت عن ذلك من أجل توحيد الصفوف، فإن الناس مبتلون ومختبرون فيما هم عليه من أديان واعتقادات ومذاهب، قال تعالى: **{لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً**

---

(١) انظر: بحث "القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي" محمد أبو الفتح البيانوني: http://islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BookId=٢٨٢&CatId=٢٠١

فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة: ٤٨] فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولكنه جعل لكل منهم طريقًا ومنهاجًا وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة، فلا يكون توحيد الصفوف داعيًا للتهاون في دين الله تعالى[1].



(١) انظر: في ظلال القرآن: ٢/٩٠٣.

رابعًا: تصحيح مبادئ الولاء والبراء لدى المسلمين

فإن على العلماء تصحيح وتعزيز مبادئ الولاء والبراء لدى المسلمين، وهو أن يقام على كتاب الله وسنة رسوله، وما أجمعت عليه الأمة، وليس على الأفكار المنحرفة ولا على المذاهب ولا على الأشخاص.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُنَصِّبَ لِلأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إلَى طَرِيقَتِهِ وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلا يُنَصِّبَ لَهُمْ كَلامًا يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي غَيْرَ كَلامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، بَلْ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْبِدَعِ، الَّذِينَ يُنَصِّبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أَوْ كَلامًا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الأُمَّةِ"(١).

ويقول –رحمه الله–: "وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَمَّانَا فِي الْقُرْآنِ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ، فَلا نَعْدِلُ عَنْ الأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّانَا اللَّهُ بِهَا إلَى أَسْمَاءٍ أَحْدَثَهَا قَوْمٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ. بَلْ الأَسْمَاءُ الَّتِي قَدْ يَسُوغُ التَّسَمِّي بِهَا كَالْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ أو كَالشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ وَالْمِصْرِيِّ. فَلا يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِهَا وَلا يُوَالِيَ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ وَلا يُعَادِيَ عَلَيْهَا"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣/٤١٦.

ولا شك أن هذه المسميات قد أقرت الأمة بفضل أصحابها وجلالتهم، ولكن رغم ذلك لا يجوز أن يوالى ويعادى عليا، فما بالك لو كان الأمر يتعلق بمسميات معاصرة ومستحدثة لم يعرفها أحد غير أبناء عصرنا !!

وقد أدرك هذا الأمر بعض المعتدلين من الشيعة، وذلك لما توفر لديه من انفتاح على بقية المذاهب الأخرى، فيقول المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله، في كلمة عبر فيها عن واقع أليم تحياه الأمة اليوم، وذلك حينما قال: "إذا درسنا الواقع نجد أننا مشغولون بكل شيء إلا الإسلام، ينطلق الحزب أو الحركة إسلامياً ثم ينسى الإسلام. والقضية ليست أن يكبر الإسلام؛ بل أن يكبر الحزب والحركة والمنظمة والمرجعية .. لنعترف أننا متعصبون، ولسنا ملتزمون .."(١).

وهذا الكلام من هذا المرجع الشيعي لا ينسينا ما يلعبه غلاة الشيعة من دور بارز وكبير في غرس التعصب والفرقة ورفض السنة بحجة عدم عدول رواتها من ثقات الصحابة ﷺ وتأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنيًا، وغير ذلك من بدع وضلالات.



(١) مقال بعنوان : نحن المسؤولون كعلماء مسلمين: محمد حسين فضل الله، موقع الوحدة:
http://www.alwihdah.com/fikr/scholar/٢٠١٠-٠٤-٢٦-١٥٩٧.htm

خامسًا: القيام بمهمة إصلاح ذات البين في الخصومات والمنازعات

وذلك من خلال تواصل العلماء والدعاة مع الناس، وخاصة أطراف النزاع، والوقوف على أسباب الخلاف بينهم.

"فإذا كان الإسلام يحرم كل التحريم إثارة الحقد والبغضاء والصراع بين الناس، فإنه يوجب آكد الإيجاب التدخل بكل طاقة ممكنة لوقف الخصومة وطرد شيطان العداوة، وزرع الحب بدل البغض، وإحلال الوئام محل الخصام، والسلام محل النزاع. يقول القرآن الكريم: **{فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ}** [الأنفال: ١] ويقول: **{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ}** [النساء١١٤] ويقول: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}** [الحجرات١٠]. ويقول الرسول الكريم ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ**». قَالُوا بَلَى. قَالَ «**إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ**» [سنن الترمذي: ٤/٤٣٢: ٤٩٢١]"[1].

---

(١) انظر: الحل الإسلامي: القرضاوي، ١٥٧ وما بعدها.

كما أنه في أوقات ما لا بد أن يكون للعلماء جهود مباشرة للإصلاح بين الناس، ولا يكفي مجرد التوجيه والإرشاد، وإلاّ سيكون ثمَّ نوع قصور في المهمة والرسالة.

ويشهد لهذا حديثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ**» [صحيح البخاري: ٣/١٨٣: ٢٦٩٣].

فيجب الإسراع في الإصلاح وعدم ترك الأمور تتفاقم والخصومة تزداد بين المسلمين.



سادسًا: التحذير من علماء السوء ودعاة الفتن ومحاربتهم

فقد حذر النبي ﷺ من علماء السوء أشد تحذير، بل قال أنهم أخوف ما يخاف على الأمة، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ**» [مسند أحمد: ٤٥/٤٧٨: ٢٧٤٨٥، وصححه الألباني بمجموع طرقه وشواهده في السلسلة الصحيحة: ٤/١٥٦: ١٥٨٢].

وقد أخبر النبي ﷺ أن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا، وإنما ينتزعه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا: فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [صحيح مسلم: ٨/٦٠: ٦٩٧١].

ولذلك كان ابن تيمية يتشدد معهم ويحذر منهم محتسبًا ذلك، فقيل له: أجُعلتَ محتسباً على الفتوى ؟! فقال: أيكون على الخبازين والطبَّاخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب؟![1]. فانظر إلى فقه هذا الإمام الرباني رحمه الله تعالى.

---

(١) إعلام الموقعين ٤/٢١٧.

فعلى العلماء تحذير الناس من دعاة الفرقة والاختلاف: فقد حذر النبي ﷺ من المارقة الذين خرجوا عن جماعة المسلمين: فكما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي فيه أن النبي ﷺ أعطى أناسًا من نجد ليتألفهم ولم يعطي قريش فغضبت لذلك- فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ. -قَالَ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي**» فلما أَدْبَرَ الرَّجُلُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» [صحيح مسلم: ٣/١١٠: ٢٤٩٩].

هكذا حذر النبي ﷺ من هؤلاء المارقة الذين يشقون عصا المسلمين وتوعدهم بالتقتيل.



سابعًا: محاربة الروايات الواهية التي فرقت بين المسلمين

وذلك من خلال التصدي للروايات والأحاديث الواهية التي ربما اتخذها البعض مسوغًا ودليلاً على جواز الاختلاف، ونشرت في الأمة الفرقة والتنازع.

ومن ذلك حديث: «**اختلاف أمتي رحمة**» فهو حديث موضوع ولا أصل له[1].

ومثله حديث «**اختلاف أصحابي لكم رحمة**» فهو حديث موضوع كذلك[2].

فهذه النصوص مخالفة للنصوص التي تذم الاختلاف وتدعوا للألفة والاتفاق.

قال ابن حزم "وهذا –أي حديث اختلاف أمتي– من أفسدِ قولٍ يكون، لأنه لو كان الاختلافُ رحمة كان الاتفاقُ سخطًا"[3].

---

(١) ذكره الملا علي القاري في [الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ٨٤/١] وقال الشيخ الألباني: "لا أصل له. ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا" [السلسلة الضعيفة: الألباني، ١٤١/١] وانظر المغني عن حمل الأسفار: أبو الفضل العراقي، ٢٣/١].

(٢) قال الألباني: "موضوع" السلسلة الضعيفة: ١٤٦/١، وانظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملا علي القاري، ٨٦/١، والمغني عن حمل الأسفار: أبو الفضل العراقي، ٢٤/١.

(٣) الإحكام: ابن حزم، ٦١/٥.

ولا شك أن هذا الحديث يتخذه كثير من أهل البدع ودعاة الفرقة مسوغًا لاختلافهم، مفرقين بين الناس بحجة يرون بجهلهم أو بمكرهم أنها شرعية.

قال الألباني –رحمه الله-: "وإن من آثار هذا الحديثِ السيئة أنّ كثيراً من المسلمين يقرّون بسببه الاختلاف الشديد الواقعَ بين المذاهبِ الأربعةِ، ولا يحاولون أبداً الرجوع بها إلى الكتاب والسنة الصحيحة كما أمروا بذلك .. قال تعالى: **{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}** [النساء: ٨٢] فالآية صريحةٌ على أنَّ الاختلافَ ليس من الله .. ولو أنهم كانوا يرونَ الاختلاف شراً كما قال ابن مسعودٍ وغيرُه ودلت على ذمَّهِ النصوص لسَعَوْا إلى الاتفاق .. ولكن لماذا هذا السعيُ وهم يرونَ أنَّ الاختلافَ رحمة"(١).

ولكن إن كان الأمر كذلك، فبماذا يجاب عن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في مسائل فقهية عديدة، وكيف نفهم ما جاء عن بعض الأئمة من أن الاختلاف رحمة للأمة، كعبارة ابن تيمية –رحمه الله- "إجماع الأئمة حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة"(٢).

فيقال: أن هناك فرق بين اختلاف هؤلاء والاختلاف بين المقلدة اليوم من حيث السبب ومن حيث الأثر المترتب على هذا الاختلاف:

---

(١) السلسلة الضعيفة: الألباني: ١/١٤٢.

(٢) مختصر الفتاوى المصرية: ابن تيمية، ٤٣.

أما من حيث السبب، فاختلاف الصحابة ﷺ والأئمة إنما كان عن ضرورة، واختلاف طبيعي منهم في الفهم، لا اختيارًا منهم للخلاف، ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كليًا ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات لعدم تحقق شرط المؤاخذة وهو القصد أو الإصرار عليه، وأما الاختلاف القائم بين المقلدة فلا عذر لهم فيه غالبًا، فإن بعضهم قد تتبين له الحجة من الكتاب والسنة، ولا يمنع بعضهم من قبول الحق إلا لأنه ليس مذهبه، وإن تبين له الصحيح بالدليل، وقد تبين بالقرآن والسنة ذم الاختلاف –كما سبق-، وكذلك ورد النص عن بعض الأئمة برده ..[1].

قال ابن القاسم –رحمه الله-: "سمعت مالكًا وليثًا يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناس: (فيه توسعة) ليس كذلك إنما هو خطأ وصواب"[2].

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي –رحمهما الله-: "وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ خطأ بعضهم بعضًا ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها ولو كان قولهم كله صوابًا عندهم لما فعلوا ذلك" وقد جاء عن ابن مسعود في غير مسألة أنه قال: أقول فيها برأيي فإن يك صوابًا فمن الله، وإن يك خطأ فمني وأستغفر الله.

---

(١) انظر: صفة صلاة النبي ﷺ: الألباني، ٦٢.

(٢) الإحكام: ابن حزم، ٦/٣١٧.

وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أُبي بن كعب وابن مسعود ﷺ في الصلاة في الثوب الواحد .. فقال: "لا أسمع أحدًا يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا"[1].

فمن هنا نعلم "أن الصحابة ﷺ اختلفوا اضطرارًا وكانوا ينكرون الاختلاف ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وأما المقلدة –فمع إمكانهم الخلاص منه ولو في قسم كبير منهم– فلا يتفقون ولا يسعون إليه بل يقرونه، فشتان إذن بين الاختلافين. هذا من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر فهو أوضح، وذلك أن الصحابة ﷺ – مع اختلافهم المعروف في الفروع – كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلاً من يرى مشروعية الجهر بالبسملة ومن يرى عدم مشروعيته، وكان فيهم من يرى استحباب رفع اليدين ومن لا يراه، وفيهم من يرى نقض الوضوء بمس المرأة ومن لا يراه، ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعًا وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلاف مذهبي.

وأما المقلدون فاختلافهم على النقيض من ذلك تمامًا، فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين ألا وهو الصلاة، فهم يأبون أن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، ٢/١٦٧.

يصلوا جميعًا وراء إمام واحد بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة على الأقل .. ومنهم من منع التزاوج بين الحنفي والشافعي .."[1].

ومن هنا نعلم أن الاختلاف وإن وقع بين الصحابة وأئمة المذاهب فهو غير مقصود أصلاً، بل مذموم بنص الكتاب والسنة، فلا يستدل به على تجويز الاختلاف بين المسلمين، والقول بأنه توسعة ورحمة، واتخاذه مبررًا لإقرار اختلاف المسلمين وتفرقهم وعدم السعي في سبيل توحيدهم على الحق، لأنه – اختلاف الصحابة وأئمة المذاهب– إنما وقع عن ضرورة واجتهاد منهم في سبيل الوصول للحق، وهم أهل الاجتهاد وأهل الفقه، وهم مأجورين –إن شاء الله–، وهم رغم ذلك كانوا حريصين على الوصول إلى وجه الحق في المسائل المختلف فيها، فكانوا ينظرون في كلام بعضهم بعضًا، ويتعقب بعضهم بعضًا، ويصوب بعضهم بعضًا.

وإلا لو كان الاختلاف رحمة كما يقولون، فماذا نقول في قوله تعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {١١٨} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}**[هود: ١١٨-١١٩] ؟!.

ومن الروايات الواهية كذلك: بعض الأحاديث التي وضعها مُتعصّبة المذاهب في ذم المذاهب الأخرى، كما فعله بعض متعصبي الأحناف في ذم الإمام الشافعي –رحمه الله– ووضعوا حديث نصّه: «**يكون في أمتي رجل يقال له**

(١) صفة صلاة النبي ﷺ: الألباني، ٦٥.

محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس وآخر يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي» فهو موضوع أيضًا[1].

إذاً: هذه الأحاديث التي تفرق شمل الأمة، وتفضل أجناساً على أجناس، وعرقاً على عرق، إنما هي من مفرزات الجاهلية، وعلى العلماء محاربتها وكشفها، والتحذير من خطرها.

وسيأتي مزيد من الحديث عن مسألة مراعاة اختلاف العلماء وحدوده في الفقه الإسلامي[2].



---

(١) موضوع، ذكره أبو نعيم الأصفهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم: ١/٨٣: ٢٤٨، في ترجمة مأمون بن أحمد السلمي وقال: "مثله يستحق من الله تعالى ومن الرسول ومن المسلمين اللعنة"، وذكره الذهبي في الأحاديث المختارة: ١/١٢٢: ٨٠، وقال في اثنين من رواته: "مأمون وشيخه دجالان" وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ٤٢٠، والألباني في السلسلة الضعيفة: ٢/٤٢: ٥٧٠.

(٢) سيأتي ذلك تحت عنوان: نشر العلم الشرعي بين الناس وبخاصة فقه الواقع وفقه الخلاف.

ثامنا: تنسيق الجهود مع الحكام وأولياء الأمور لتحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف

فعلى العلماء القيام بدورهم في مناصحة ولاة الأمور، عملاً بقول النبي ﷺ «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قالوا لِمَنْ ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» [صحيح مسلم: ١/٥٣: ٢٠٥].

فمن الضروري أن تتضافر جهود العلماء وجهود الأئمة والحكام لرأب الصدع وإنهاء الفرقة بين المسلمين، فإن الإمام عصمة من الاختلاف وقاطع لدابر الشقاق، فهو موئل الأمة وملاذها، ومن أجل ذلك أمرنا بالصبر عليه مع ظلمه، وعدم شق عصا الطاعة له مع انحرافه، وعدم الخروج عليه بالسيف إلا إذا كفر كفراً بواحاً لا تأويل له، ولا تفسير له إلا الكفر البواح .. وأما في غير ذلك فقد أمرنا الرسول ﷺ بالصبر عليه، والإذعان لأمره، وذلك أن افتراق الأمة أعظم الشرين، والعاقل إذا خير بين مفسدتين اختار أيسرهما، فالصبر على إمام ظالم جائر منحرف بعض الانحراف، خير لا شك من افتراق الأمة وشق عصاها، لأن في هذا ذهاب ريحها، وتفرق كلمتها، ولا شك أنه يحصل بذلك من الشرور أضعاف أضعاف ما يحدث من الصبر على جور الإمام.

والمطالع لسيرة سلفنا الصالح ﷺ يجد أنهم كانوا يعظمون الإمامة الكبرى جداً ويضعونها في المقام اللائق بها. فالإمامة كان أول أمر فكر به المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة.. ولذلك قدموه على دفنه ﷺ.

والناظر إلى قول عمر رضي الله عنه لما رجع إلى قول الخليفة أبي بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة، حينما قال: "فَوَاللهِ مَا هُوَ إلا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ" [صحيح البخاري: ٩/٩٤: ٧٢٨٤]. فإنه يرى كيف كان إذعان عمر ورجوعه إلى رأي الإمام!!.

وهكذا كان موقف عمار رضي الله عنه في قضية التيمم[(١)]، وكذلك كيف كان موقف السلف وخيار الصحابة عندما اجتمعت الكلمة لمعاوية بن أبي سفيان، وتنازل الحسن بن علي –رضي الله عنهما– له حقناً لدماء المسلمين، وجمعاً لكلمتهم.



(١) انظر صحيح مسلم: ١/١٩٣: ٨٤٦.

تاسعًا: استغلال كل الوسائل والأساليب والمناسبات لتحقيق الوحدة

فمن الضروري أن يستغل العلماء المناسبات العامة والحوادث الكبرى لجمع كلمة المسلمين، فقد استغل النبي ﷺ تجمع الناس يوم حجة الوداع فقال خطابه الوحدوي الشهير: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلالا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» [صحيح البخاري: ٥/١٧٧: ٤٤٠٦].

ويتأكد هذا عند حلول النوازل التي أمر الله تعالى بردها إلى أهل العلم فيها، كما قال سبحانه: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**} [النساء: ٨٣].

فالأمة أحوج ما تكون عند النازلة إلى أهل العلم الراسخين والعلماء الربانيين، ولعل مما يتوجب على أهل العلم أن يكون دورهم حال النوازل أكثر من مجرد إصدار بيان –مهما وسعهم ذلك– على أهمية البيان للأمة.[١]

---

(١) دور العلماء في قيادة الأمة: د. ناصر العمر:

http://almoslim.net/node/٩٥٥٨٨

وكذلك باستخدام كل ما هو متاح من وسائل الدعوة، كوسائل الإعلام المرئي كالتلفزيون والفضائيات، والمسموع كالراديو والتسجيلات الصوتية، والمقروء كالصحف والمجلات والنشرات والشبكة العنكبوتية "الانترنت"، وكذلك من خلال إقامة المحافل العلمية كالمؤتمرات والندوات وورش العمل، وذلك أخذًا لزمام لمبادرة وعدم ترك الساحة لدعاة الفتنة ودعاة العصبية يصولون ويجولون ويؤججون نيران الفتنة والعصبية في كل محفل.

فالنبي ﷺ استخدم وسائل وأساليب مختلفة ومتنوعة في سبيل إيصال دعوته للناس، فقد استخدم الخطابة، والموعظة، واستخدم الكتاب والرسالة، واستخدم الإنشاد والشعر –وان كان لا يقوله لكنه كان يأذن للشعراء به ويحثهم على الحسن منه– ودعا الناس في المساجد وفي الأسواق وفي المجالس، ودعا في الليل وفي النهار، ودعا سرًا وجهرًا، فكان ﷺ يحمل هم الدعوة في كل وقت ومكان. وكذلك لا بد أن يكون العلماء تجاه هموم أمتهم.

وقد بذل الدعاة والعلماء المعاصرون جهودًا كبيرة في هذا الميدان، فألفوا العديد من الكتب والأبحاث التي ربما ذكر بعضها في سياق هذا البحث، كما عقدوا العديد من المؤتمرات ولقاءات العمل في العديد من البلدان، مثل:-

مؤتمر الوحدة الإسلامية بالخرطوم المنعقد في شهر مايو/٢٠٠٣م.

ومؤتمر: "أهل السنة والجماعة .. دعوة إلى الوحدة الإسلامية والتسامح ونبذ الفرقة والتطرف" الذي عقد في الأزهر الشريف، بمصر، يناير/٢٠١١م.

ومؤتمر الوحدة الإسلامية: الإطار النظري وخطوات التطبيق، انعقد في ماليزيا في يناير/١٩٩٣م.

ومؤتمر "دور العلماء والدعاة في ضبط الخطاب الديني ووحدة الأمة" في دمشق أكتوبر/٢٠١٠م.

كما تم إقامة العديد من المؤسسات الوحدوية، مثل:-

١-رابطة العالم الإسلامي: وهي مؤسسة إسلامية تأسست عام ١٩٦٢م، مقرها مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية.

٢-منظمة المؤتمر الإسلامي: وهي منظمة دولية ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة، تأسست سنة عام ١٩٦٩م بعيد حريق المسجد الأقصى، ومقره المؤقت جدة في المملكة العربية السعودية لحين تحرير القدس وهي المقر الدائم لها، وغيرها من مؤسسات.

ولكن لا بد من وقفة في مدى تأثير هذه الجهود في واقع المسلمين: فكثيرة هي المؤتمرات التي أطلقت، والبيانات التي أصدرت، والمؤسسات التي أسست، ولكي تكون هذه الجهود ذات تأثير، لا بد أن تحوّل المؤتمرات في شعاراتها وقراراتها إلى مشاريع، ولا بد من وضع آليات وبرامج فعالة وسريعة للنزول إلى الواقع، وتطبيق نتائج الأبحاث والمؤتمرات وتحويلها إلى واقع يحياه المسلمون.



المطلب الثاني:

معوقات في طريق مساهمة العلماء في تحقيق الوحدة

فإن كثيرًا من الأمور تعترض طريق العلماء في مساهمتهم في تحقيق الوحدة، منها:-

أولاً: كثرة الاختلافات والاستسلام للواقع

حيث أن من الأمور التي تعتبر عائقًا في طريق مساهمة العلماء في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف؛ هو كثرة اختلاف المسلمين فيما بينهم، فتجد المسلمين متفرقين إلى طوائف مختلفة، وكل طائفة مفترقة فيما بينها إلى مذاهب، وكل مذهب مفترق إلى جماعات، وكل جماعة إلى اتجاهات، وهكذا.

ولا شك أن هذا هو سبب هلاك الأمم، فكما أخبر النبي ﷺ: «**فَإِنَّمَا أُهْلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ أَوْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ اخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ فَانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَدَعُوهُ أَوْ ذَرُوهُ**» [مسند أحمد: ١٥/٥٤٧: ٩٨٨٧، وصححه الأرنؤوط على شرط الشيخين].

ولقد تضمن كلامه ﷺ الداء والدواء، فإن سبب الهلاك هو كثرة الاختلاف، وإن العلاج هو النهي عن الاختلاف وعن التنطع والتفتيش عما لم تبعث به الرسل.

فدور العلماء أن ينهوا عن هذا التنطع والتشدد الذي يورث الاختلاف المهلك، فعن أبي الزناد قال: "وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيهًا بتعلمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي، وينهون عن لقائهم ومجالستهم ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف"[(١)].

ورغم هذا الواقع المؤلم، إلا أنه لا ينبغي الاستسلام له، فقد حذر الله تعالى ورسوله الكريم من ذلك، وذلك حينما حذر من اليأس، فيقول عن لسان نبيه الكريم يعقوب لأبنائه: **{وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** [يوسف: ٨٧].

وقَالَ النبي ﷺ «**اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ**» [صحيح مسلم: ٥٦/٨: ٦٩٤٥].

فالمسلمون لا يعرفون اليأس ولا القنوط من رحمة الله، فكيف يكون الحال إذا تعلق بعلمائهم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، ١٩٩/٢.

هذا وإن كان من علامات الواقعية والصحة في التصحيح والتغيير أن ينظر إلى الواقع في معالجة الأمور، إلا أنه ليس من الصحة ولا الواقعية الرضا بهذا الواقع، فلو أخذ الأنبياء والرسل المصلحون عامة بهذا المنطق، ما حققوا نصرًا، ولا غيروا واقعًا ولا وقفوا في وجه باطل، لقلة عَددهم وعُددهم.

ولكن لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الهدف النبيل هدف عظيم الشأن وصعب المنال إذا لم يُتخذ له السبيل والمنهج الصحيح لأجل تحقيقه، لذا لا ينبغي أن ننسى أن الله تعالى قال لنبيه مانًا عليه وعلى المسلمين جميعًا أنه لولا فضل الله ورحمته ما تآلف المسلمون الأوائل، وقد كانوا على أشد حالات الاختلاف والتفرق، فقال: **{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [الأنفال: ٦٣].

إذًا: لا بد أن يرتبط الأمل في توحيد الأمة بالله، والاعتماد على هداه القويم، وإن لم يكن كذلك فعبث ومضيعة وقت.



ثانيًا: غياب التنسيق والعمل الجماعي

حيث أن من الأمور المهمة جداً في مجال تفعيل دور العالم في نبذ الفرقة والاختلاف؛ البعد عن المسلك الفردي في العمل والإصلاح والتأثير.

وذلك أن الجهد الفردي – مهما كانت قدرات صاحبه ومواهبه – لا يمكن أن يوازي جهده حينما يكون مضموماً إليه جهوداً وخبرات الآخرين ومواهبهم وطاقاتهم .. ولو كان أحد يستغني عن الآخرين في نشر الإسلام ونصره إذاً لاستغنى الأنبياء عليهم السلام[1].

كيف لا، والله تعالى يقول: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}** [المائدة: ٢] والرسول ﷺ يقول: «**يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**» [صحيح ابن حبان: ١٠/٤٣٧: ٤٥٧٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/١٤٢: ٣٦٢١].

وهذا يحتم على أهل العلم والفضل التقاءًا واتفاقاً على مشاريع مختلفة باختلاف المتفقين عليها وباختلاف أولويات واقعهم، فضلاً عن نبذ التناحر والتنافر الذي لا يخفى أثره على أحد.



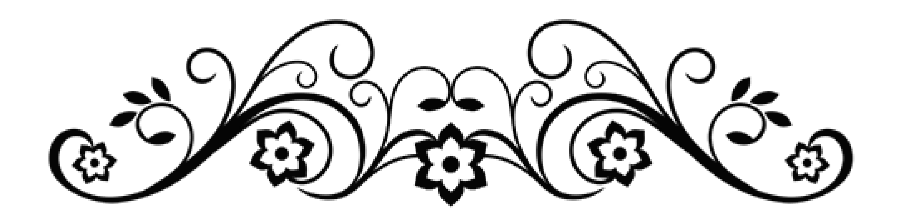
(١) دور العلماء في قيادة الأمة: د. ناصر العمر:
http://almoslim.net/node/٩٥٥٨٨

ثالثًا: الركون الشبه كلي إلى الساسة والحكومات

فإنه من الواجب على العلماء أن يتقدموا لسدِّ الثغرة، وأن يتولُّوا زمام المبادرة بأنفسهم، وأن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها، وأن لا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون. فإنهم متى ما تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلاً لسدِّ مكانهم، ولا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجِّهونهم، حذرًا من قول تحقق قول النبي ﷺ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [صحيح مسلم: ٨/٦٠: ٦٩٧١].

لذلك لا بد ألا يركن العلماء إلى الساسة والحكومات لتحقيق هذا الأمر، فإنه منذ أكثر من نصف قرن كان هناك من يراهن على دور الأنظمة والحكومات لكي تصنع واقع الوحدة، لكن هذا الرهان باء بالفشل والخيبة لأن هذه الأنظمة والحكومات يدورون في فلك دولي لا يرى من مصلحته تحقيق وحدة للمسلمين.





الخاتمة

أبرز النتائج

بعد حمد الله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، على إتمام هذا البحث؛ فإنه تبين من خلال البحث أن:

١- وحدة المسلمين هي وحدتهم تجاه القضايا الأساسية والأهداف والغايات المشتركة، ووحدة قلوبهم ومشاعرهم؛ برغم ما قد يقع بينهم من اختلاف الآراء والاجتهادات -فيما فيه مجال للاختلاف-، وبرغم ما يفصل بينهم من حدود وفواصل مكانية.

٢- أهمية وحدة المسلمين؛ فهي فريضة شرعية وضرورة بشرية، بنص القرآن والسنة.

٣- عظم قدر العلماء في الإسلام، وعظم الأمانة التي يحملونها.

٣- يتوجب على العلماء التحلي بصفات تمكنهم من تحقيق الوحدة، منها: الاعتصام بالله ورسوله ﷺ، والإخلاص والتجرد والخشية، والاستقلالية واعتزال الفتن.

٤- وكذلك يتوجب عليهم القيام بكثير من الأعمال وبذل الكثير من الجهور لمحاربة داء الفرقة والتشتت، فوحدة الأمة هي مسؤولية العلماء أولاً.

٥- هناك العديد من العوائق التي تعيق عمل العلماء في سبيل توحيد المسلمين؛ ولا بد من عدم الرضوخ أو الاستسلام لها.

أهم التوصيات

١- ضرورة تربية الأمة على الوحدة والتعاون والرحمة، ووضع القواعد والمبادئ التي تجمع الأمة، وتهيئة المجتمعات الإسلامية نفسيًا وفكريًا للوحدة؛ فتصبح الوحدة مطلبًا لكل الشعوب الإسلامية.

٢- ضرورة تبصير الناس بأهمية الوحدة وخطورة التفرق والاختلاف.

٣- أهمية نشر العلم الشرعي بين الناس وبخاصة فقه الخلاف وفقه الواقع.

٤- تصحيح مبادئ الولاء والبراء لدى المسلمين على أن يكون مبنيًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥- ضرورة قيام العلماء بمهمة إصلاح ذات البين في الخصومات والمنازعات.

٦- التحذير من علماء السوء ودعاة الفتنة ومحاربتهم.

٧- التصدي للروايات الواهية التي فرقت الأمة وسوغت للمختلفين اختلافهم، وتنقية مراجع المسلمين منها، وتطهير مناهج التعليم من كل ما يدعو إلى العصبية والقومية والحزبية الضيقة، ليشب الناشئة على فكر الوحدة.

٨- ضرورة استغلال العلماء كافة الوسائل الممكنة، من صحافة وإذاعة وتلفزيون والشبكة العنكبوتية "الانترنت" وما جرى مجرى هذا في الإعداد للوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة والاختلاف.

٩- أهمية التنسيق والتعاون والعمل الجماعي بين العلماء، حيث يكون تأثيرها أكبر من تأثير الجهود الفردية.

١٠- كذلك ضرورة تضافر جهود علماء المسلمين مع جهود حكامهم وأمراءهم للوقوف أمام خطر الفرقة والتشتت.

١١- أن ينأى العلماء بأنفسهم عن الحزبيات والعصبيات ويكون مرجعهم إلى كتاب الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين عند الاختلاف.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.



قائمة المراجع

١- أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي: محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، ١٤٠٤هـ، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، مكتبة الدار.

٢- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد (ابن حزم الأندلسي) (ت٤٨٣هـ)، ١٤٠٤هـ، القاهرة، الطبعة الأولى، دار الحديث.

٣- أخلاق العلماء: محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، المحقق: إسماعيل ابن محمد الأنصاري - عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، ١٩٧٨م، السعودية، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٤- الآداب الشرعية: عبد الله محمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عمر القيام، ١٩٩٩م، بيروت، الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة

٥- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملا علي بن محمد القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: محمد الصباغ، ١٩٧١م، بيروت، دار الأمانة - مؤسسة الرسالة.

٦- الاعتصام: إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق الشاطبي) (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، مكتبة التوحيد.

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ١٩٧٣م، بيروت، دار الجيل.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٣٦٩هـ، القاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية.

٩- بحث "القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي" محمد أبو الفتح البيانوني:
http://islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BookId=٢٨٢&CatId=٢٠١

١٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ١٩٨٧م، بيروت، طبعة أولى، دار الكتاب العربي.

١١- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ١٤٠٧هـ، بيروت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

١٢- تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣- تفسير القرآن: منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ): تحقيق: ياسر ابن إبراهيم - غنيم بن عباس بن غنيم، ١٩٩٧م، الرياض، نشر دار الوطن.

١٤- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) المحقق: مصطفى السيد محمد وآخرون، ٢٠٠٠م، الجيزة، الطبعة: الأولى، مؤسسة قرطبة - مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د.محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، بيروت — دمشق.

١٦- توحيد الكلمة على كلمة التوحيد: عبد العزيز الطريفي:
http://www.islamway.com/index.php/gaza/hajj/index.php?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=٣٩٨١

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي (ت١٩٥٦م)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

١٨- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

١٩- الجامع الصحيح (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، بيروت، دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة.

٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر(صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة.

٢١- جامع بيان العلم وفضله: يوسف ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي، ٢٠٠٣هـ، الطبعة الأولى، مؤسسة الريان - دار ابن حزم.

٢٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: إسماعيل بن محمد الأصبهاني (٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ١٩٩٩م، الرياض، دار الراية.

٢٣- الحل الإسلامي فريضة وضرورة : د، يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٤م.

٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله (أبو نعيم الأصبهاني) (ت٤٣٠هـ)، ١٤٠٥هـ، بيروت، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي.

٢٥- دور العلماء في قيادة الأمة: د. ناصر العمر

http://almoslim.net/node/٩٥٥٨٨

٢٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الرياض، دار المعارف.

٢٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، ١٩٩٢م، الرياض، الطبعة: الأولى، دار المعارف.

٢٨- سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجِستْاني (٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي.

٢٩- شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، ١٩٨٣م، دمشق . بيروت، الطبعة: الثانية، المكتب الإسلامي.

٣٠- صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) الرياض، مكتبة المعارف.

٣١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٣٢- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الرياض، الطبعة: الخامسة، مكتبة المعارف.

٣٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٣٤- العلماء هم الدعاة: ناصر العقل، دار القاسم.

٣٥- الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، الطبعة الثانية، دار المعرفة.

٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة.

٣٧- الفقيه والمتفقه: أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) (٤٦٣هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، ١٤١٧هـ، السعودية، دار ابن الجوزي.

٣٨- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن يحيي المعلمي، ١٤٠٧هـ، بيروت، الطبعة: الثالثة، المكتب الإسلامي.

٣٩- فى ظلال القرآن: سيد قطب (ت١٩٦٦هـ)، القاهرة، دار الشروق.

٤٠- لسان العرب: محمد بن عبيد الله بن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف.

٤١- مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ) المحقق: أنور الباز – عامر الجزار، ٢٠٠٥م، الطبعة: الثالثة، دار الوفاء.

٤٢- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية: محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ)، إشراف: عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٣- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية: محمد بن عبد الوهاب (ت١٧٣١هـ)، وتوسع فيها: محمود شكري الألوسي، ١٣٤٧هـ، المطبعة السلفية.

٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، طبع على عدة مراحل في عدة سنوات، بيروت، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

٤٥- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أحمد بن عبد الله (أبو نعيم الأصبهاني)، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ١٩٩٦م، بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية.

٤٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) المحقق:حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية.

٤٧- المغني عن حمل الأسفار: عبد الرحيم بن الحسي العراقي(ت٨٠٦هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ١٩٩٥م، الرياض، مكتبة طبرية.

٤٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية، ١٩٩٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٩- مقال بعنوان : نحن المسؤولون كعلماء مسلمين: محمد حسين فضل الله، موقع الوحدة

http://www.alwihdah.com/fikr/scholar/٢٠١٠-٠٤-٢٦-١٥٩٧.htm

٥٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف: د.مانع الجهني، ١٤٢١هـ، الطبعة: الرابعة، نشر: دار الندوة العالمية.

المحتويات

أصل هذا الكتاب ١

ملخص البحث ٢

Research abstract ٥

المقدمة ٩

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختياره: ٩

ثانيًا: أهداف الموضوع: ١٠

ثالثًا: منهج البحث: ١١

رابعًا: خطة البحث: ١١

المبحث الأول: مدخل: العلماء ووحدة الصف .. المفهوم والأهمية ١٣

المطلب الأول: مفهوم مصطلح "العلماء" ومكانتهم ١٣

مكانة العلماء ١٦

المطلب الثاني: وحدة المسلمين .. المفهوم والأهمية ١٩

أهمية الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية ٢٣

المبحث الثاني: العلماء ودورهم في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف ... ٢٧

المطلب الأول: دور العلماء في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف ٢٧

أهم الصفات الوجب توافرها في العالِم ٢٨

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة وإتباع سبيل المؤمنين ٢٨

ثانيًا: الإخلاص والتجرد والخشية ٣٢

ثالثًا: استقلال العلماء واعتزالهم الفتن وأهلها ٣٥

دور العلماء في توحيد الأمة ٣٧

أولاً: تربية الأمة على الوحدة والتعاون والرحمة ٣٧

ثانيًا: تبصير الناس بأهمية الوحدة وخطورة التفرق والاختلاف ٤٠

ثالثًا: نشر العلم الشرعي بين الناس وبخاصة فقه الخلاف وفقه الواقع....... ٤٢

رابعًا: تصحيح مبادئ الولاء والبراء لدى المسلمين....................... ٤٦

خامسًا: القيام بمهمة إصلاح ذات البين في الخصومات والمنازعات ٤٨

سادسًا: التحذير من علماء السوء ودعاة الفتن ومحاربتهم ٥٠

سابعًا: محاربة الروايات الواهية التي فرقت بين المسلمين.................. ٥٢

ثامنا: تنسيق الجهود مع الحكام وأولياء الأمور لتحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف ٥٨

تاسعًا: استغلال كل الوسائل والأساليب والمناسبات لتحقيق الوحدة ٦٠

المطلب الثاني: معوقات في طريق مساهمة العلماء في تحقيق الوحدة ٦٣

أولاً: كثرة الاختلافات والاستسلام للواقع ٦٣

ثانيًا: غياب التنسيق والعمل الجماعي ٦٦

ثالثًا: الركون الشبه كلي إلى الساسة والحكومات ٦٧

الخاتمة ٦٨

أبرز النتائج ٦٨
أهم التوصيات ٦٩
قائمة المراجع ٧١


تم بحمد الله

